البعث حركة حية نامية متطورة

يا أبناء أمتنا العربية المجيدة[1]

ان هذه المناسبة التي تتكرر كل عام، ذكرى تأسيس الحزب تأتي في ظل هذا الانتصار العظيم الذي حققه العراق على العدوان لتزيد البعث قناعة وايمانا بانه منسجم مع نفسه، وفيّ لمبادئه التي عاهد الامة عليها منذ ولادته، وانه حاضر دوما في صف الشعب وفي قلب معاركه المصيرية، وفي موقع المدافع عن عروبة هذا الشعب، وقيمه الوطنية والانسانية.

ان هذا الانتصار يولد النشوة والاطمئنان، لانه يؤكد بان الحزب استطاع في الظروف القومية البالغة الصعوبة والتعقيد خلال عشرات السنين من مسيرته ان يحافظ على ارادته ويحميها من التزييف والتعطيل والانحراف، ويحافظ على دوافعه الاصيلة الخيرة فتزداد هذه المسيرة ثقة بالنفس واندفاعا نحو المستقبل. وفي كل عام تتجدد في ضمير الحزب ثقته بانسجام حاضره مع ماضيه، وبان ما يمثله العراق في السلم وفي الحرب من اتصال عميق بروح الامة وتراثها الخالد، وانفتاح على العصر والانسانية والتقدم، ومن صيغة حية نموذجية في الوحدة العضوية بين العروبة والاسلام، ومن ايمان راسخ بالوحدة العربية، وكونها بالنسبة للعرب مساوية لوجودهم.. هو نفس ما انطلق منه الحزب عند نشوئه، وهو نفس ماأراد تجسيده وتحقيقه.

---

(١) كلمة في السابع من نيسان عام ١٩٨٥، لمناسبة الذكرى الثامنة والثلاثين لتأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي.

هذا هو الفكر القومي بصيغته البعثية، ولد ونشأ في جو الحب للعروبة والقومية العربية وللاسلام كأثمن واغلى مافي العروبة والقومية العربية.

وقد شكلت انتصارات العراق في حربه العادلة المظفرة ضمانة كبرى بالنسبة الى مستقبل هذا الفكر والى مستقبل النهضة العربية وسلامة اتجاهها.

لقد كانت رؤية الحزب واضحة منذ البداية بانه لايمكن الاتصال بتاريخنا المجيد عن طريق العقل الرجعي المتخلف، بل ببتر الانقطاع الذي اوجدته عصور الانحطاط لاعادة الاتصال بالتاريخ العربي الحي عن طريق الثورة والنضال، كما كانت الرؤية ايضا واضحة بان التقدم الذي لايستند الى التراث الروحي والحضاري للامة، لايمكن ان يكون تقدماً صادقاً وناجعاً، لانه يعجز عن ملامسة روح الشعب وكسب ثقته وتفجير طاقاته، فكان على الحزب ان يشق لنفسه طريقه الخاص الذي استلهم ثورية التراث الخالد من خلال الاستيعاب العلمي الواقعي لروح العصر ومتطلبات ثورة الامة ونهضتها الحديثة.

هذا الدرب الصعب الصاعد هو الذي اختاره وسار عليه نضال الحزب في العراق، وهو الذي استطاع بصدقه وعمقه ان يجعل من العراق في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ النهضة العربية مجسدا لخلاصة الوعي القومي الثوري، عندما حسم بانتصاراته الفذه خيار هذه النهضة التاريخي، فحفظ للامة العربية شخصيتها القومية وكيانها الموحد وطريقها المستقل.

أيها المناضلون العرب

ان العراق كان مستهدفا لهذا الغرض، اي لنسف اسس النهضة العربية الحديثة، بالاضافة الى النيل من استقلاله، وهو لذلك كان في تصديه لخطر التوسع الشعوبي الخميني، ينوب بحق عن الامة كلها وعن اتجاه نهضتها الاصيل، بالاضافة الى ما يعنيه فيما يتعلق باستقلال البلاد والدفاع عن حياة الشعب.

وعلى هذا الاساس كانت الحرب مناسبة لانكشاف وافتضاح، مالم يكن قد انكشف بعد من امراض الواقع العربي، ومن جيوب التآمر والخيانة التي عمل الاعداء

طويلا على زرعها في اجزاء الوطن العربي كعوامل تعويق وتمزيق وتناحر، والتي كان بعضها يرتدي اثوابا واقنعة مضللة ترفع شعارات القومية والتقدمية، فالنظام السوري يدّعي محاربة التسوية وهو نفسه الذي يعطل طاقات عربية على الساحة الفلسطينية، وفي العراق وفي مصر، ويعطل طاقات سورية الجماهيرية ويسحقها، وينحاز الى ايران ويترك قوة بوزن قوة العراق تواجه وحدها الاعتداءات الايرانية المتكررة طوال خمس سنوات، مبعدَة عن موقعها في التصدي لمؤامرات العدو الصهيوني واعتداءاته، فالذي يقف هذا الموقف من قطر ضخم ناهض ومقاتل وجيشه من اقوى الجيوش العربية، لايستطيع ان يدّعي انه صادق وجاد في مقاومة التسويات الاستسلامية على نهج كمب ديفيد، فوقوف النظام السوري مع النظام الليبي في صف ايران هو خدمة مباشرة للعدو الصهيوني، واضعاف للموقف العربي، وخيانة للرابطة القومية، وما المزايدات التي يلجأ اليها هذا النظام السوري سوى حيل مضللة للتآمر على وعي الجماهير العربية، والقاء الغبار واشاعة الضباب لتمرير المؤامرات الاجنبية، وهم يحاربون التضامن العربي، حسب ادعائهم خوفا من ان يكون المقصود به تحقيق الاجماع على التسوية التي بدأها السادات، والتي مازالت مصر مكبلة بقيودها، والمنطق البسيط البديهي هنا ايضا يؤكد بان حدا ادنى من التضامن يتيح لمصر ان تصلب موقفها وان تصمد للضغوط الامريكية والاسرائيلية اذا لم نقل بانه يتيح لها ان تحطم قيود المعاهدة المشؤومة، فالعرب بوضعهم الراهن، بكل ما فيه من عيوب وضعف، هم اقوى متضامنين مما هم في حالة تفرقة وتناحر، وتناقض وتعطيل متبادل لقوتهم، بينما العدو يشاهد هذه الحالة ويتفنن في استغلالها.

هذه الحقيقة قد ادركها الشعب العربي الفلسطيني وعبّر عنها برفضه لانقسام منظمة التحرير، وانقسام فتح، وبتأييده لوحدة المنظمة، يقينا منه بان حالة الوحدة هي دوما افضل واقوى. صحيح ان وضع مصر، مادامت متورطة ومقيدة بقيود معاهدة الصلح، ليس بالوضع السليم، ولكن مصر قد عبرت بالعديد من المواقف، منذ زوال السادات عن ارادتها في التحرر، وعن معاناتها النضالية للخروج من المأزق الذي

وضعت فيه، ولاستعادة دورها القومي، فالموقف الايجابي من لبنان ومن منظمة التحرير الفلسطينية ومن العراق وكذلك المواقف الشعبية من التطبيع وتمزيق العلم الاسرائيلي وضد مشاركة «اسرائيل» في معرض الكتاب، ومظاهرة المحامين المصريين في اتحاد المحامين العرب ضد معاهدة كمب ديفيد، والبرامج الانتخابية للاحزاب السياسية التي اجتمعت على الموقف الوطني التحرري، وكتابات المفكرين داخل مصر وخارجها، والمظاهرات الجماهيرية ضد ضرب المفاعل النووي في العراق وفي اسبوع تاييد العراق مؤخرا، والموقف من المقاومة الفلسطينية ابان محنتها في طرابلس، كل ذلك يؤكد ان مصر بقواها الوطنية وجماهير شعبها العظيم قد اكدت ارادة التيار الوطني الشعبي في ممارسة دوره النضالي، الذي لايقبل التراجع عن هدف التحرير، والذي يجب ان ترفده القوى العربية المناضلة، ليؤدي في اقرب وقت ممكن الى اسقاط المعاهدة المشؤومة وتحرير مصر من قيودها، وتحرير القضية الفلسطينية بخاصة، والقضية العربية بعامة، من خطرها المهدد.

هذا هو الموقف العربي الصحيح تجاه مصر، الموقف المسؤول الذي لايتجاهل المخاض الايجابي الجديد، ولايترك مصر تواجه وحدها الضغوط الامبريالية والصهيونية التي تعمل على اجهاض ولادة هذا التيار الايجابي المعبر عن ارادتها الوطنية في التخلص من القيود، وعن ارادتها القومية في المشاركة في الدفاع عن المصير العربي.

كما ان الموقف العربي السليم يقتضي اعتبار صمود منظمة التحرير الفلسطينية بوجه النظام السوري الذي عمل مع النظام الليبي، على ضرب وحدة المنظمة بقصد الاجهاز عليها كما كان واضحا في معارك البقاع وطرابلس ضد فتح، ان نعتبر هذا الصمود انتصارا لارادة الشعب ضد المزيفين ورمزا يضاف الى الرموز الايجابية التي تعبّر الامة من خلالها عن مقاومتها للتدهور القائم في واقعها الراهن، فهو جدير بان يحرص عليه وان يقوّى وينمّى لانه يعبر عن ارادة شعب فلسطين هذا الشعب العربي الابي الصامد، الذي قدم للعالم كله، اروع صور الصمود في وجه المؤامرات على مصيره وعلى قضيته التحررية القومية، فصمود المقاومة نصر لقضية فلسطين وهو قوة لابد ان

تتحطم على صخرتها الضغوط الامبريالية، الهادفة الى تشويه المعنى التحرري العميق لهذا الصمود.

يا أبناء أمتنا العربية المناضلة

نحن ننطلق من تقرير حقيقة هي في مستوى البديهيات بان الامكانات العربية الشعبية النضالية، والامكانات الاقتصادية وكل ما يتمتع به الوطن العربي من امتيازات في الموقع وثروات في الارض والعمق الحضاري، كل هذا يؤهله، ليس للصمود بوجه المؤامرات والهجمات الامبريالية والصهيونية وعملائها حسب، بل ايضا لبناء نهضة يدخل بها الشعب العربي دخولا ايجابيا، مبدعا في العصر الحديث، ولكن التجزئة كأكبر آفة تعرض لها هذا الوطن، اعطت لاعداء الامة العربية واعداء نهضتها، وسائل وادوات متناحرة ومتشرذمة، ومكنت القوى المعادية من محاربة محاولات اليقظة والنهضة والوحدة والتحرير باكثر من اسلوب وعلى اكثر من خط، فثمة العدوان المباشر وثمة التخريب والتعطيل من الداخل بواسطة ادوات تقوم بمهمة التخريب تحت شعارات مناقضة لحقيقة ممارساتها، وان هذه الادوات المنفذة لمخططات التآمر الخارجي والمستغلة لاوضاع التجزئة، تستطيع ان تلعب دورا مزدوجا، فتسهم في ضرب القوى العربية الحية وفي تعطيلها، وتستند في الوقت نفسه الى هذه النتيجة السلبية لتطرح الحلول المتطرفة التي لايكون لها اي معنى واقعي في حالة تعطيل قسم كبير من القوة العربية.

والسنوات العشر الاخيرة تقدم لنا امثلة واضحة على ذلك، فمساهمة النظام السوري في تأجيج الحرب الاهلية اللبنانية، وضرب القوى الوطنية والمقاومة الفلسطينية في لبنان، تتناغم مع سير السادات في طريق الصلح المنفرد واخراج مصر بكل وزنها من ساحة الصراع، ومع الموقف التآمري على العراق الناهض، وتحريض نظام خميني للاعتداء عليه واشغاله في حرب طويلة لمنع قوته الجديدة الناهضة من ان يكون لها دور فعال في القضية القومية وصمودها امام اعدائها، وفي تقرير المصير العربي. هذه الادوار

التي تقترن باتخاذ الذرائع والمبررات من خيانة السادات لتحجيم دور سورية القومي وتشويهه وتزييفه والتدخل في لبنان بتوجيه من الولايات المتحدة وموافقة علنية من حكومة العدو، للمساهمة في مخطط تقسيم لبنان الى مناطق طائفية متناحرة، ولكي يلتقي هذا المخطط مع سياسة النظام الايراني الجديد في تصدير الحرب الطائفية الى الاقطار العربية ولكي يصل الامر بالنظام السوري الى حد ضرب منظمة التحرير الفلسطينية بالسلاح، في الوقت الذي كانت فيه اسرائيل تلاحق هذه المنظمة الممثلة لارادة شعب فلسطين للقضاء عليها، وفي الوقت الذي كان فيه القضاء على المنظمة مطلبا امريكيا صريحا، والاصرار على ابقاء مصر خارج المعادلة العربية حتى بعد ان نفذت مصر الحكم على السادات وانفتح الطريق امام امكانية التحرر من اثار سياسته الخيانية، والاصرار على معاداة العراق وامداد ايران بكل انواع الدعم والمساعدة، ليبقى العراق بعيدا عن ساحة العمل القومي.

فماذا يعني ضمن هذا الواقع، وامام هذه الوقائع كلها، ان يرفع نظام متسلط على شعب سوريا بالارهاب والقمع والتنكيل وبكل الاساليب الاجرامية، نظام معزول ومحاصر من قبل هذا الشعب بالكره والريبة، شعارات ضد الامبريالية والصهيونية ومن اجل تحرير فلسطين، بعد ان قام بمهمته في افراغ الساحة العربية من مضمونها الجدي الا ان تكون مهمته تنفيذا لمخطط اعداء الامة.

وفي الشطر الغربي من الوطن العربي تمثل مسرحية مشابهة بدأت قبل عشر سنوات بشأن الصحراء الغربية، شغلت اقطارا عربية عديدة، وعطلت قوة خمسين مليون عربي، في بقعة غنية واستراتيجية ولم تجد لها حلا حتى الان.

فامام ذلك كله، من يستطيع ان يقنع الشعب العربي على امتداد وطنه الكبير، بان ما يمثل على مسرح السياسة الرسمية يعبر عن مشاكله الحقيقية ويمكن ان يعد له مستقبلا «مشرقا»؟

ان جزءا من امكانات الامة الصادقة استطاع في اوقات واماكن مختلفة غير موحدة وغير منسقة لا في الزمن ولا في المكان، ان يعطي صورة البطولة والاقتدار والعقل

الحديث المتسلح بالوعي والروح الوطنية، فما حققه الجيش المصري في حرب تشرين من معجزة عسكرية ووطنية، وما يحققه الجيش العراقي وشعب العراق بكامله (على امتداد خمس سنوات) من الانتصارات الخارقة والصمود المشحون بالوعي العالي والوطنية العريقة والحس القومي العميق، ثم الملحمة النضالية المعجزة التي حققها سكان جنوب لبنان على اختلاف فئاتهم، في قهر جيش الاحتلال الاسرائيلي وفي اذلاله، وكذلك صمود الشعب الفلسطيني العربي في المخيمات وفي الارض المحتلة، رغم كل ما سلط عليه من ويلات الحرب وفظائع التقتيل والمجازر.

ان هذه الظواهر الصحية الايجابية المفعمة بالامل وروح المستقبل، هي المعبر الحقيقي عن جوهر الشعب العربي في كل مكان من ارض العروبة، مهما تكن المفارقة حادة بينها وبين اوضاع التردي السائدة في الواقع العربي الراهن، لانها في حقيقة الامر تمثل الصورة الصادقة لحقيقة هذه الامة وهي ليست بعيدة في الزمن عن صور مماثلة مشرقة، صنعها شعبنا العربي قبل اقل من ثلاثين عاما في الجزائر، وفي بور سعيد، وفي دمشق لدى قيام اول وحدة عربية في العصر الحديث وفي اكثر المدن والقرى العربية في المشرق والمغرب من نضال باسل بطولي ضد الاستعمار وحكومات رجعية عميلة، وهذه المظاهر الصحية الراهنة مع تلك التي سبقتها قبل حين، انما تنبع من مصدر واحد، من التاريخ العربي المجيد، الذي نشر في الماضي اعظم الرسالات وبنى اعظم الحضارات ومن معاناة الامة في هذا العصر، وهي تنهض وتنبعث من جديد.

فشعب سورية العريق في وعيه ونضاله، العميق بحسه الوطني والقومي، المؤمن برسالة الامة لايمكن ان يكون في صف اخر غير صف العراق والمقاومة الفلسطينية، ومصر، وهو لابد ان يحسم هذا التناقض بين حقيقته كقطر رائد في العمل القومي وبين الدور المتآمر على المصير القومي الذي يقوم به نظام حافظ اسد في سورية، وشعب مصر لايمكن ان يكون بعيدا عن دوره الطبيعي التاريخي، الدور النضالي والحضاري الذي يعبر عن قدره وعن قدر الامة، وشعب الجزائر لابد ان يتمثل من خلال تجربته كشعب عربي مجاهد معنى العدوان على الهوية والمصير والارض، الذي يتعرض له

شعب العراق وارض العراق وتاريخ الامة كلها، على ايدي النظام الخميني المدفوع بالحقد على العروبة التي هي جسد الاسلام ومهد ثورته، ولغة قرآنه. . ولابد ان يكون هذا الشعب المجاهد مع العراق، القطر الذي كان له دور متميز في الدفاع عن عروبة الجزائر وفي دعم ثورة شعبها امام المستعمرين على هويته ومصيره وأرضه.

فهذه الظواهر الايجابية تنتظر من جميع القوى الحية في الامة ان تتفاعل معها تفاعلا يعزز صمودها ويضعها على طريق الصعود الثابت، طريق الصلابة الوطنية والتضامن القومي، والنضال المتمسك بالاهداف المعبرة عن روح الامة، وعن حاجات نهضتها ووحدتها لذلك فان للمثقفين الواعين المناضلين دورا متميزا في هذه المرحلة، لانهم مؤهلون لاستيعاب المعاني العميقة للتحولات الراهنة في الوطن العربي وبخاصة في المغرب العربي، حيث تزداد معاناة اقطاره اقترابا من التصور القومي اي من تلمس روح النهضة في الامة، بالرغم من المظاهر السطحية والمحاولات الرامية الى حجب هذه الحقيقة او تشويهها، فاحزاب المغرب العربي المناضلة والقوى الوطنية الواعية فيه تدرك باصالة ابعاد دورها التاريخي في تعزيز هذا الاتجاه نحو تعميق التفاعل والتلاحم بين تجربة المغرب العربي النضالية وبين اهداف النهضة العربية.

ان الجماهير العربية على امتداد وطنها الكبير، تزخر بالطاقات الحية النضالية المستعدة للانطلاق ولتحقيق التحولات التي تزيل هذا الزيف الجاثم على السطح وتفجير القوى الكامنة في الامة.

انها اذن مرحلة الاعداد والتحضير، انها المرحلة التي تتطلع نحو المساهمة الحرة الواسعة للجماهير ونحو الوحدة التي هي سر قوة العرب وبداية النهضة الحقيقية وتحرير فلسطين، فلا بد ان يبقى وعي الجماهير لهذه المرحلة واضحا وساليا وكاملا وان تعرف ان تحقيق الاهداف القومية لايتم بغير التهيئة الجدية للمواجهة الصريحة الحتمية مع الاعداء الغاصبين للارض والمرتهنين للارادة القومية، وان قضية تحرير فلسطين بالتالي، سوف تبقى قضية امتلاك الامة العربية لوسائل تحقيق اهداف ثورتها ونهضتها وان قضية الوحدة ستبقى قضية حياة أو موت بالنسبة للعرب، وان كل موقف آنّي وكل سياسة

مرحلية ينبغي ان تقوم على اساس الوصول الى تحقيق هذه الاهداف، فالعمل الرسمي للانظمة العربية، العمل الوحيد الذي يمكن ان يعتبر مرحلة انتقالية مشروعة هو ذلك الذي يدخل في حسابه القدرة التي تمتلكها الامة، هذه القدرة التي تحققت جزئيا في بعض الساحات العربية، كما اشرنا والتي لابد ان تتحقق في المستقبل بشكل شامل.

أيها المناضلون العرب

أيها البعثيون الابطال

ان اهداف الثورة العربية، ستظل هي هي، لاتتغير ولايمكن ان يؤثر فيها اي ضعف طارىء، كما ان طريق النهضة والانبعاث العربي سيظل طريق النضال والوعي، طريق يقظة الجماهير واستلامها لمقدراتها، طريق الحرية والديمقراطية وتحمل المسؤولية، طريق التحرر الكامل والوحدة الشاملة، والبناء الحضاري الاصيل فلا يمكن اذن، ولايجوز ان يحجب عن الجماهير العربية شيء من هذه الاهداف التي فرضها ضمير الامة وتاريخها وضرورات حاضرها ومستقبلها، اي حقها الكامل في تحرير ارضها من كل غاصب، وفي توحيد كيانها المجزاء، وفي بناء النهضة التي تؤهلها لها امكاناتها وطاقاتها عندما تنطلق دون عوائق مصطنعة ولاتزييف وبوحي تراثها الروحي والحضاري ونزوعها العميق الى التقدم والابداع.

ان اعداءنا يعرفون اهدافنا، ويعرفون امكانات المستقبل العربي ويتهيئون لمواجهته، فالعدو لاينخدع فلماذا نترك الجماهير العربية عرضة للانخداع.

ان هذه الجماهير تتطلع الان الى الاجزاء الحية من الوجود العربي الراهن تلك الاجزاء التي تجسد الصمود والثبات والمبدئية وروح البطولة، فهي تجد فيها نموذجا لما تستطيع ان تحققه على مستوى الوطن الكبير، مؤكدة بذلك الحقيقة التي اشار اليها تراث البعث قبل ثلاثين سنة، من ان الامة العربية متحققة في كل مكان يوجد فيه نضال وبشكل خاص اذا كان جديا «يواجه الموت في كل ساعة» فأمتكم ـ ايها البعثيون المناضلون ـ موجودة في كل مكان يحمل فيه افرادها السلاح دفاعا عن الحياة والحق

والبقاء والنهضة، وقد جسدت تجربتكم هنا في العراق، حالة فريدة في درجة كمالها في التعبير عن روح الانبعاث في الامة، فقد انطلقت الحياة بكل عنفها وعنفوانها في جو سادته اسمى القيم الوطنية والقومية والاخلاقية والانسانية، وتجسد حب الحياة في المواقف البطولية والاعمال النبيلة والتسابق على التضحية.. كل هذا يشترك فيه الشعب بكامله، وبمختلف مستوياته الاجتماعية والثقافية، فهي حالة واحدة وموحدة للشعب، حالة منفتحة على الحياة وعلى الحضارة وعلى المستقبل الصاعد المشرق، كلها نور ووضوح، ووعي يتعمق ويتكامل باستمرار، ويقين تؤكده وتعمقه الانتصارات المتعاقبة المتعاظمة، وهي حالة النهضة التاريخية التي تبنى من خلال المعارك التاريخية، انها حالة فريدة، ولكنها ليست غريبة على الحياة العربية والتاريخ العربي فهي حالة قائمة في طور الكمون والاستعداد على امتداد الارض العربية ما دام التاريخ واحدا والقيم واحدة وتحديات الحاضر متماثلة.. وان حبنا لامتنا هو الذي يبعث في نفوسنا الفرح العميق لمثل هذا التحقق البالغ الروعة في العراق.. وهو الذي يشعرنا في الوقت نفسه، واكثر من اي وقت مضى بألم التجزئة المفروضة على العرب واوضاعها المشوهة المزورة، التي تحول دون اطلاع معظم اجزاء شعبنا العربي الكبير على ما يتحقق اليوم على ايدي ابناء العراق، كما يحول دون مشاركة العرب الواسعة في هذه الملحمة الخالدة، ليعود الجسم العربي صحيحا معافى، تسري فيه دماء واحدة ويستنشق هواء الحرية والبطولة والنهضة.

ياأبناء شعبنا البطل في العراق

يا أبناء شعبنا العربي

لقد جسد البعث في هذه المرحلة من حياة الامة صورة حركة حية نامية ومتطورة، شقت طريقها الصاعد، بالرغم مما اعترضها من تحديات وعقبات وأزمات وتآمر.. ففي القطر العراقي حقق الحزب بقيادته لجماهير الشعب اعظم نجاح له، وجاء انتصار تجربته الثورية الناضجة فيه تتويجا لمسيرة البعث النضالية كلها، ولسوف تبقى تجربة الحزب في العراق هي التجربة الرائدة النموذجية، كما ستبقى علاقة الحزب بها علاقة

مميزة، لان الحزب في العراق، بالظروف القطرية والقومية التي شقّ طريقه من خلالها وبالقيادة التاريخية الفذة التي اوصلت هذا النجاح الى مستوى تاريخي، وبخاصة في زمن الحرب، قد حسم الظروف وحولها لمصلحة الامة وخلق حالة انبعاثية عمت كل الشعب، وجعل التحقق الذي تم بقيادة البعث في العراق شيئاً متميزاً وفريداً بعمقه ونضجه وتكامله واثره في مستقبل النهضة العربية.

وفي (القطر السوري) الذي نشأ فيه الحزب، والذي يتعرض اليوم الى عملية تشويه وتزوير عامة، ويتعرض شعبه الى القمع الذي بلغ ذروته وتصطنع فيه بتخطيط اجنبي، صورة معكوسة للحزب باسم البعث في سورية، في هذا القطر كان تفاعل الحزب مع النضال الجماهيري خلال الاربعينات والخمسينات قد اوصل الى تحقيق انجاز قومي تاريخي بقيام وحدة سورية ومصر، وكان نضال الحزب نضالا متميزا بأفقه القومي، الشامل لمعاناة الامة، ونضالاً تحررياً وتقدمياً ضد القوى الاستعمارية والحكومات الاقطاعية الفاسدة المعيقة لتقدم الشعب ونهوضه، وهو الذي قاد النضال ضد الدكتاتوريات العسكرية وفي سبيل ترسيخ القيم الديمقراطية، وبنضاله المتعدد الابعاد، استطاع الحزب ان يحوّل القطر السوري الى قاعدة قومية ترهب اعداء الامة. وما دام حزبنا يشكل وحدة نضالية اخلاقية ومسيرة قومية متكاملة على اختلاف الفترات الزمنية وساحات الاقطار، فمن الحق والعدل والوفاء ان نذكر لمناضلي هذا القطر وشهدائه فضلهم في تغذية مسيرة النضال الوطني والقومي، وان نخصّ بالذكر والتقدير مناضلي حزبنا، الذين قدموا حياتهم ثمناً لانتمائهم الى البعث وعقيدته، والذين تحملوا عذاب السجون، والذين مازالوا يتحملون حتى الان ضريبة الاخلاص لهذا الانتماء.

اما مسيرة الحزب في (لبنان) فقد استطاعت على امتداد اكثر من ربع قرن ان توجه، وان تقود نضال الجماهير لمقاومة المشاريع الاستعمارية، والتصدي الدائم للتوسع الصهيوني واعتداءات «اسرائيل» والاحتضان الكامل المستمر للمقاومة الفلسطينية والمشاركة الجدية في كل معاركها، حتى المرحلة الاخيرة التي كان لمناضلي الحزب فيها

دورهم في مقاومة جيش الاحتلال الاسرائيلي في الجنوب، والتصدي لمؤامرات نظام حافظ اسد، وتدخله في لبنان وفضح الحزب لهذا الدور المشبوه، وما كلف ذلك كله من تضحيات بالدم وشهداء من ابرز شباب الحزب وقياديه الذين دفعوا حياتهم ثمناً للعقيدة القومية التي يمثلها البعث، والتي لاتقبل المساومة مع العقلية الطائفية والانعزالية والانتهازية. كل هذا خلق للبعث في لبنان رصيداً قومياً شعبياً محفوظاً في ضمير الجماهير، كما انه سيبقى لتصدي الحزب في لبنان لردة ٢٣ شباط وحمله اعباء الاتصال القومي ومسؤولية الولاء لخط الحزب التاريخي الاصيل اثر باق في مسيرة حزبنا التاريخية كما سيبقى للرفاق اللبنانيين الذين جسدوا في تلك الفترة الصعبة الفضائل البعثية والرجولة الحقة مكانة خاصة في قلوبنا.

وهي ايضا، المكانة التي نحفظها لحزبنا المناضل في (السودان) الذي كان بعد لبنان، اول من استنكر الردة الشباطية وفضح مؤامرتها وبصرّ بعواقبها الوخيمة على القضية العربية. هذا الحزب الذي استطاع منذ بداية الستينات ان يبني تجربة نضالية متينة الاسس، متميزة بالمبدئية العالية والحكمة وهو اليوم قد وصل، بعد نضال صادق طويل توجهه ثقافة نيرة، الى ان يصبح في نظر الشعب القوة النضالية الاولى المتصفة بالمبدئية والاخلاقية والصلابة في وجه تسلط النظام الدكتاتوري وفساده، وافقاره لاكثرية الشعب الساحقة، وافتعاله للانقسامات وارتهانه للنفوذ الامبريالي، وتصديه الفاشل لمحاولة النيل من فكر الثورة العربية، كما اصبح الحزب الحامل لهموم شعب السودان الوطنية والقومية، والمفصح الامين عن تطلعات هذا الشعب نحو حياة ديمقراطية تسودها العدالة الاجتماعية والاخوة والمساواة بين المواطنين على اختلاف فئاتهم ومذاهبهم واقاليمهم، ضمن آفاق وحدة المصير العربي، والنضال لتحقيق الوحدة العربية.

وفي اقطار عربية اخرى، في المشرق كما في المغرب كانت للحزب تجارب نضالية تؤكد ان هذا الحزب الذي مر بامتحانات قاسية، قد حفر مسيرته النضالية بعمق، ولقي التجاوب من جماهير الشعب العربي، بالرغم من سيطرة الاوضاع الشاذة على

كثير من اقطاره، والمؤامرات الاجنبية التي تركز على محاربة الحزب بواسطة بعض الانظمة، محاربة يومية لاهوادة فيها، لمنع وصول فكرته الى الجماهير والتفاعل معها، فقد استمر الحزب ينمو في الكثير من الاقطار العربية، ووصل في بعضها الى ان يصبح قوة جماهيرية مناضلة كما في القطرين اليمني والموريتاني. وهو اليوم يضع قطراً بكامله على طريق الانبعاث، ويقف في العراق على ارض الانتصار العظيم.

أيها المناضلون العرب

يا جماهير أمتنا المناضلة

لقد جاء انتصار العراق ثمرة لنضال الحزب، ولثورته وتضحيات شعبه، وبطولات جيشه، واخلاص طلائعه وروعة قيادته. وفي هذه الانتصارات الباهرة التي حققها العراق يجد حزبنا كل ماضيه ومستقبله، فهي عنوان لتجربة صادقة اصيلة جديرة بان يحتضنها المناضلون العرب كأثمن انجاز لحركة النهضة العربية الحديثة وان يدركوا سر نجاحها وعوامل انتصارها وان توضع في موقعها المتميز من مسيرة النضال القومي.

لقد كان سر تميز هذه التجربة يكمن في كونها استجابة جدية للمبادىء القومية والوطنية التي اتى بها البعث، فهي التي استحضرت الافق القومي لتلك المبادىء في النضال اليومي وفي العمل التفصيلي، وهي التي حققت التجاوب العميق مع الارادة الشعبية ومع ضمير الجماهير، واستلهمت تراث الامة، وتفاعلت مع روح العصر، فكانت ثمرة دخول هذا المستوى من الوعي الى اعماق الشعب، ولادة الانسان الجديد في العراق، هذا الانسان الذي بشر به البعث منذ تأسيسه.

فعلى ارض هذه التجربة النضالية الخصبة وفي مناخها القومي الثوري، حيث توافرت واجتمعت فضائل تنظيمية وخلقية متميزة، برز القائد التاريخي ليجمع الى تلك الفضائل الموضوعية، الاستعدادات الشخصية النادرة، والتربية العربية الاصيلة والطموح البطولي، والاقتدار العالي، وليجسد قيم البعث الروحية والفكرية والخلقية، تجسيدا حيا، وبمستوى تاريخي.

هذا القائد الفذ، الرفيق المناضل صدام حسين، قد برز خلال المراحل الثلاث

لمسيرة الحزب في العراق، مناضلا، بعثيا، وقائدا، «حزبيا» قبل الثورة. ثم قائدا «بعثيا» للدولة ولنهضة العراق الحديث، وتألق في مرحلة الحرب، قائدا للحزب وللدولة وللمجتمع، ليدافع عن نهضة قاد بناءها، وعن وطن حقق له الانتصار، فانقذ العراق، ودفع خطرا «كبيرا» عن المصير العربي كله.

وفي المراحل الثلاث من تلك المسيرة، كان الرفيق القائد صدام حسين يجسد المستوى النادر في الاقتدار والابداع وفي انضاج نظرية العمل التي استوعبت خصوصيات واقع القطر وخصوصيات كل مرحلة من مراحل مسيرته الثورية، ضمن الافق العام لحركة الثورة العربية، والتي وضعت السلطة في خدمة المبادىء وسخرتها لخدمة الشعب. كل هذه العوامل والنواحي والسمات الكامنة وراء تميز تجربة العراق، هي التي جعلته قادرا على رد العدوان الخميني، وتحقيق الانتصارات، وعلى تحويل ظروف الحرب بكل قسوتها وويلاتها الى عامل اضافي مساعد لتعميق نواحي القوة فيه، وتقوية اسباب التميز والتفوق التي طبعت تجربته النموذجية الرائدة، وتأكيد نزوعها الحضاري الانساني الذي يبرزها ايضا على مستوى التجارب الناجحة المتألقة في العصر الحديث فهي كما قلنا في نيسان الماضي، قد اكدت اصالتها من خلال التصرف الحكيم الذي تميزت به قيادة المعركة ونظرتها المتفائلة الى المستقبل، وتهيئتها الشروط المساعدة على قيام حوار ايجابي مع شعوب ايران، وتمهيدا لعلاقات جوار سليمة، ولانهاء صفحة الاحقاد والاطماع وارساء علاقات صداقة ونضال وطيدة، مع المعارضة الشعبية الايرانية وذلك انسجاما مع منطلق البعث في النظرة الانسانية، اي مع طبيعة النظرة القومية للبعث المتحررة من كل اثر للضيق والتعصب والعنصرية وكذلك مع نظرة البعث الى علاقات الاخوة والنضال المشترك بين الامة العربية والشعوب الاسلامية من اجل التحرر والسيادة والتقدم، ومن اجل بناء عالم حضاري جديد.

أيها المناضلون العرب

ان امتنا هي التي تنهض وتصمد وتبدع من خلال تجربة العراق ومعركته المظفرة، الامة بكل تاريخها وقيمها واصالتها وبكل ما اختزنته من تجربة روحية ووعي حضاري،

وما عانت وتعاني من آلام التجزئة والفرقة والتخلف، ومن جشع القوى الاستعمارية والصهيونية، وعدوانية العنصريين التوسعيين وتآمر جيوب العمالة والخيانة من عرب الجنسية المارقين وما تتطلع اليه امتنا وتطمح من تحرر وانعتاق، وتقدم وابداع وصدق ونزاهه، انها الامة العربية الخالدة، حاضره كلها في معركة العراق المقدسة، وما البعث الا شاهد اشار الى الطريق، ورسم المستوى اللائق بامته ونهضتها، وعبر عن ثقته اللامحدوده بالشعب العربي وعطائه اللامحدود.

فحالة العراق حالة وطنية وعربية متقدمة، تجمعها بالشعب العربي على اختلاف اقطاره، اواصر قوية وعميقة، وهي الكفيلة بتحريك الضمير العربي والوعي المصيري في هذا الشعب، لكي يحصل التجاوب والتضامن والمشاركة الجدية بينه وبين العراق المدافع عن ارضه والارض العربية، وعن شخصية الامة ووحدتها.

ولئن كان من دلائل نضج التجربة العراقية وعمقها ان العراق في معركته المظفرة لايعتمد الا على قواه الذاتية، فانه في حقيقية الامر محمي بقوة استلهامه لارادة الامة كلها، ولكل قيم تاريخها وامجاده، ولكل طموحات مستقبلها وطاقاته.

انه اليوم امة المستقبل، ولن يصعب على ابناء المستقبل في الامة العربية ان يتعرفوا فيه على انفسهم فينضموا اليه، ويتوحدوا فيه وفي معركته.

عاش شعب العراق العظيم، وجيشه البطل.

عاش حزبه المقدام وقائده الفذ.

تحية للبعثيين المناضلين في السجون والمعتقلات.

المجد والخلود لشهداء العراق وشهداء الامة العربية.